عود على بدء

الفردوس المفقود

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

[أصدر الشاعر منذ شهر وبعض شهر ديوانه الذي أسماه « من وحي المرأة » لأنه — كما قال الأستاذ العقاد — لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على زوجته الفقيدة ، فخرج في جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى نظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى في عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم في هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع . ويبلغ الديوان نحو الألف بيت . وقد جاءتنا من الشاعر القصيدة التالية — ولم يسبق نشرها — وهي في الموضوع نفسه ، يذكر فيها كفهده شريكة حياته ورفيقة دراساته] .

يحبّي وحيدي كان قلبُك يهتف
ولي كان منك الناظرُ المتشوّف[1]
وبي دون أهل الأرض أُنسُك كأنه
كأن رحابَ الأرض دونيَ صفصف[2]
فخورٌ على الدنيا بأنك زوجتي
وما أنا قارونٌ ولا أنا يوسف[3]
تعبّدك مني ما يُحبّب ذا الهوى
ويَزْوي قلوبَ الغانيات ويصدف[4]
تعبّدك أني ذو حديث وأنه
علومٌ وفنٌّ لا مجونٌ وزخرف
وأنك قد طالعتِ أسفار مكتبي
إذا لي فيها حيث وقّفتِ موقف
نظرتِ إشاراتي هناك وها هنا
تحدّث عن أغوار نفسي وتكشف
لدى كلّ تعقيبٍ وكلّ إشارة
تصافح روحانا فكان التعرّف
وعهدي للأنثى مدارٌ ، وللفتى
مدارٌ ، ولولا النسلُ ما كان مألف
فوا فرحتا أن قد تعانق عالمي
وعالمها ؛ فالشمل نظمٌ مؤلف
ويا فرحتا أُطلقتُ من سجن وحدتي
فروحي مع الروح الأليف ترفرف
تحلّق في الآفاق طوراً ، وتارة
نسيفُ إلى روض الغرام فنقطف
نضاعفُ بالكتب الحياة ، فحظنا
من الحسّ والتفكير حظٌّ مضعّف
ونعرض للعقل الفنونَ فتنجلي
وندرس بالقلب العلومَ فتلطف
نمارس هذا العيشَ بالقلب والحجى
معاً ، مثلما طابت على المزج قرقف[1]
حبيبان بين الكتب عشُّ غرامنا
نديمان في حضن الهوى نتقلسف
نذوق كطعم الخلد أعيت صفاته
بياني ، وطعم الخلد هيهات يوصف
فواحسرتا أن قد خلدنا هنيهةً
هي الخلد لكن من سنا البرق أخطف[2]
ويا حسرتا أني إلى سجن وحدتي
رجعت ، وذكرى الخلد بالقلب تعنُف
فلا القلب عن ذكرى هواكِ بمُزعو[3]
ولا الدمع عن سُقيا ثراك مكفكف

(١) المتشوف المتطلع .
(٢) دون أي من غيري . الصفصف الفلاة .
(٣) يقال « قارون » و « قارونا » ، والنصب على أن « ما » عاملة عند الحجازيين ، والرفع على أنها غير عاملة عند غيرهم ، وفي البيت إشارة إلى غنى قارون وجمال يوسف .
(٤) تعني المرأة استلابها وفتنها . زوى أبعد وتعنى . يصدف يصرفه ويرده .

(١) القرقف من أسماء الخمر (٢) أخطف : أسرع
(٣) نزعو من ارعوى أي كف .